العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١١٤

الإمام المهدي المنتظر
في نهج البلاغة

بحث تأويلي دلالي

تأليف
الشيخ حيدر فاضل الشكري

شعبة البحوث والدراسات ٣

الإمام المهدي المنتظر
في نهج البلاغة

بحث تأويلي دلالي

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١١٤

الإمام المهدي المنتظر
في نهج البلاغة

بحث تأويلي دلالي

تأليف
الشيخ حيدر فاضل الشكري

شعبة البحوث والدراسات ٣

الناشر:.....العتبة العلوية المقدسة/قسم الشؤون الفكرية والثقافية/شعبة البحوث والدراسات
تأليف:.....الشيخ حيدر فاضل الشكري
تصميم الغلاف والتنضيد والإخراج الفني:.....أحمد عبد الإله البياتي
عدد النسخ:.....١٠٠٠نسخة
سنة الطبع:.....١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

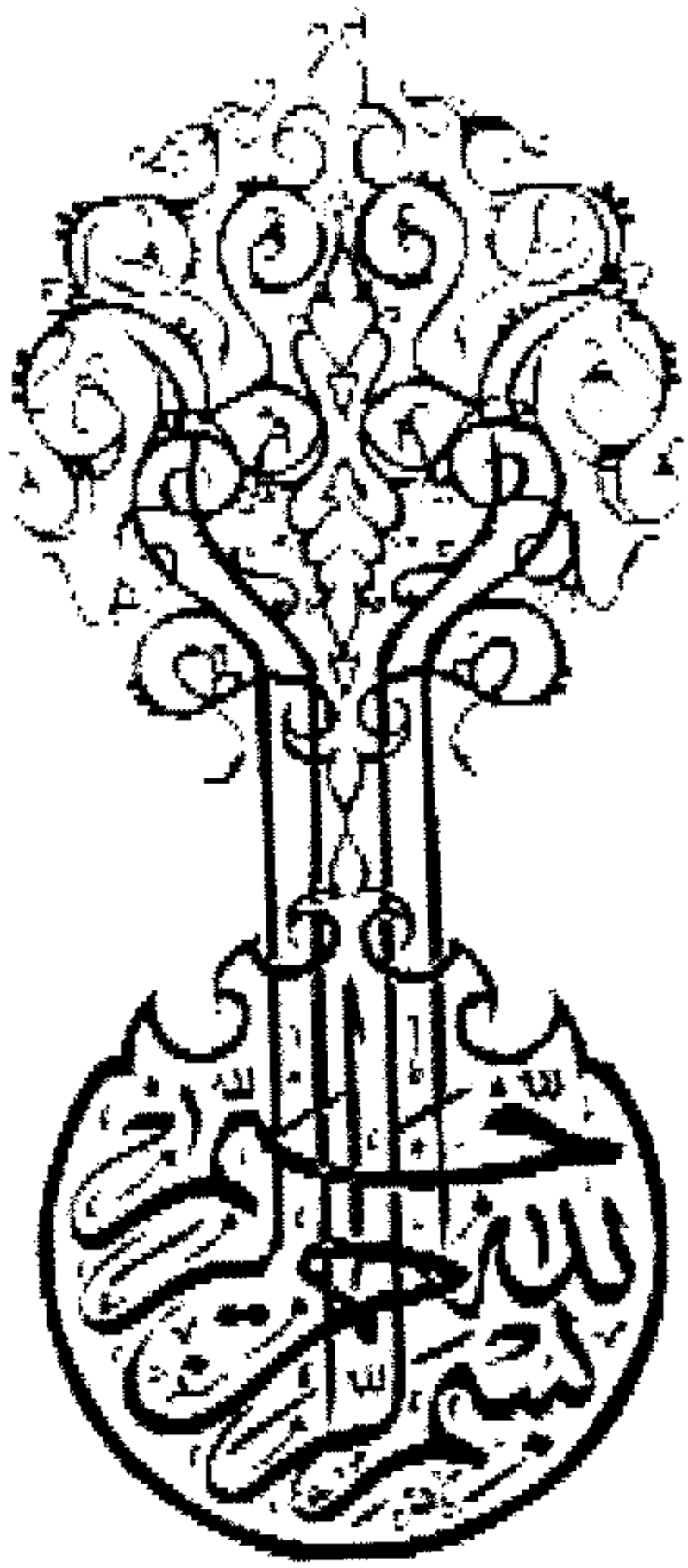

مقدّمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين حمداً يوافي نعمه ويُكافئ مزيده ويمتري العظيم من فضله ونداه وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين مصابيح الدجى ومنار الهدى لا سيما بقية الله في الأرضين مولانا قطب دائرة الإمكان صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وبعد..

ففي الوقت الذي يزفّ فيه قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدّسة هذا الإصدار بحلته هذه إلى القرّاء الكرام فإنّنا نمدّ كف الضراعة إلى المولى تعالى سائلين إياه أن يسدد يراع زملائنا في شعبة البحوث والدراسات لتقديم كلّ ما هو رائع ونافع لخدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله فإنّه ما إن انقشعت غيوم الطغيان والدكتاتورية البغيضة عن سماء عراق أهل البيت عليهم السلام حتى نهدت العتبات المقدّسة بقياداتها وإداراتها الجديدة بمهمة النهوض

بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء الإسلام العظيم مضطلعة بحمل هذا العبء عن طريق نشر وتحقيق المؤلفات التي تصبّ في خدمة الإنسان والإنسانية بكل بعد من أبعادها.

وقد حرص قسم الشؤون الفكرية والثقافية على نشر كلّ ما يخصّ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال إصداراته المختلفة والمتنوعة خدمة لطلاب العلم والمعرفة، ونشراً للثقافة الإسلامية الأصيلة.

ومن الله نستمدّ العون وهو حسبنا ونعم الوكيل متوسلين بباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون هذه الجهود في ميزان حسناتنا، والله من وراء القصد.

رئاسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

محرم الحرام/١٤٣٦هـ

النجف الأشرف

مقدمة شعبة البحوث و الدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد..

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة، الآية (١٠٥).

لا يمكن إنكار ما للمعرفة من دور مركزي في رقي وتقدم الأمم. فكان الكتاب، والكتابة، والقراءة، أدواتٌ معرفية ساهمت وتساهم في رفد عجلة التطور الفكري والثقافي بكل ما هو جديد ومفيد علمياً ومعرفياً.

إنّ هذا التطور لابد له من أوعية وأدوات تساهم في جمعه وتهذيبه ومن ثم نشره، فكانت نوافذه في الإطلال على العالم الخارجي متنوعة ومتعددة بتنوع وتعدد المتلقين، وطبيعة ونوعية الملقين.

وما ((شعبة البحوث والدراسات)) في العتبة العلوية المقدسة إلا إحدى هذه النوافذ المعدة لتبني القضايا الفكرية والثقافية بشكل عام، وقضايا التراث الديني بشكلٍ خاص.

فمنذ انطلاق هذه الشعبة بمهامها التي أنيطت بها أخذت على عاتقها المساهمة في مواكبة النتاج الثقافي وذلك من خلال وحداتها: ((وحدة الدراسات القرآنية، ووحدة الدراسات العقائدية، ووحدة الدراسات الحديثية، ووحدة الدراسات المهدوية، ووحدة دراسات نهج البلاغة)).

لقد كان للأخوة العاملين في هذه الشعبة الإسهام ـ ومن خلال ما بذلوه من جهود ـ في ظهور كتابات مفيدة، تخدم الحركة العلمية، وتساهم في زيادة رصيد العتبة العلوية المقدسة فيما تقدمه من خدمات للحركة الفكرية، ولطلاب العلم والمعرفة. فالشكر واصلٌ إليهم، داعين لهم بالتوفيق والسداد.

إنّ هذا الكتاب، وغيره من الكتابات الأخرى ما هو إلا تأليف وضع ضمن خطة أعدتها رئاسة قسم الشؤون الفكرية متمثلة بالشيخ علي الشكري، مع رئاسة شعبة البحوث والدراسات، وضمن خطة ودراسة طالت أيام، بل أكثر، فكان

باكورة هذه النتاجات ما نضعه بين يدي القارئ الكريم من نتاج أولي تجاوز الخمسة عشر مؤلفاً، هذا ضمن الخطة الأولية التي وضعت لأواخر سنة (٢٠١٤ ميلادي)، وسيتبع ذلك ضعف هذه المطبوعات كخطة .أولية .لبدايات العام (٢٠١٥ ميلادي) المساوق .أيضاً .لبدايات العام الهجري (١٤٣٦هـ) والذي يتوافق مع الذكرى القرنية الرابعة عشر لاتخاذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الكوفة عاصمة للحكومة الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الشيخ ليث العتابي

رئيس شعبة البحوث و الدراسات

قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

العتبة العلوية المقدسة

محرم الحرام ـ ١٤٣٦هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته المعصومين المظلومين خلفاء الله في العالمين.

وبعد..

في فلسفة وجود الإنسان في دار الدنيا، أن هذا الإنسان محاط بجملة من الضوابط والتكاليف الشرعية التي تحفظ له إنسانيته ومن دونها يهبط إلى أسفل سافلين.

إنّ هذه الضوابط والتكاليف قد جاء بها الأنبياء والمرسلون لا سيما خاتمهم الحبيب المصطفى محمد ﷺ الذي تمثّل رسالته خلاصة كل الرسالات والكتب السماوية.

وكان ﷺ يمثّل الحجة المعصومة لله عز وجلّ في تبليغ الرسالة وإرشاد الخلق إلى طريق الهدى والصلاح. فإذا ما رحل ﷺ عن هذه الدنيا فلا بدّ من وجود حجج معصومة من بعده في كل عصر وزمان لإتمام الحجة الإلهية على العباد؛ إذ لا يخلو زمان من حجة وهذا مضمون ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال عليه السلام: ((اللهم بلا لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته)).

ومن هذا المنطلق تتبين حتميّة وجود إمام حقّ في كلّ زمان يكون حجة لله تبارك وتعالى على خلقه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾[2].

فإذا كانت العصور الماضية لم تخل من إمام، وقد مضى أحد عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان آخرهم الإمام العسكري عليه السلام الذي استشهد سنة (٢٦٠هـ)، فهل يمكن أن تبقى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

الأرض ويبقى الخلق منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا بلا إمـام؟!! والحال أنّ الحديث الشريف يقول: ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)).

الجواب: هذا محال؛ وذلك لحصـول نقـص في إتمـام الحجـة الإلهية على عباده. وكذلك فـإن حيـاة الأرض ومـا عليهـا يـرتبط ارتباط ضرورياً لا انفكاك له بالإمام المعصوم. وبتعبـير آخـر فـإن وجود الإمام عليه السلام لا يخصّ مسألة الهداية للخلق فحسـب، بـل أنّ كل القوانين الطبيعية مرتبطة بـه، فهـو متجـذّر ومتأصّـل في كـل الطبيعة وفي كل دقائق هذا الكون. ومن هنا يثبت معنى مـا ورد في الروايات عن أهل بيـت العصـمة عليهم السلام: ((لـولا الحجّـة لسـاخت الأرض بأهلها)).

إضافة إلى ما ذكرنا فإنّ هناك فلسفةً أُخرى في ضرورة وجود الإمام المهدي (عج) تكمن في حتميـة وجـود ميـزان فيصـل بـين مراحل الصلاح والفساد. فإذا رجحت كفة الفساد يفترض وجود من يثقل كفة الإصلاح. وإلّا فعدم التوازن بينهما يؤدّي إلى النهايـة الحتمية للأرض ومن عليها.

إنّ الموازين المنطقية والتفكير العقلائي مضافاً إليها الأدلّة القرآنية والروائية، كلّها تؤكّد وجود الإمام (عج) وضرورة ظهوره في آخر الزمان لينشأ الدولة العالمية التي تنصف المظلوم وتقتص من الظالم وتنشر العدل وتعطي كل ذي حقّ حقّه ويطبّق فيها الإسلام المحمدي الأصيل.

وفي بحثي هذا آليت التطرق إلى الفصول الخاصة بالإمام المهدي (عج)، والتي وردت في نهج البلاغة لبيان مضامينها ودلالاتها، وهي تشمل جملة من العناوين الخاصة بالعقيدة المهدوية. راجياً من الله تعالى التوفيق والقبول إنّه سميع مجيب.

حيدر فاضل علوان الشكري

(١)ـ قال عليه السلام: ((وخلّف فينا راية الحق، من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها زهق، ومن لَزِمها لحِق، دليلُها مكيث الكلام، بطيء القيام، سريعٌ إذا قام. فإذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتُم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يُطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم. ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم، طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون))[1].

((وخلّف فينا راية الحق)): الفعل (خلّف) يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

((راية الحق)): هناك أكثر من قول في تأويلها:

الأول: قال ابن أبي الحديد: (إنّ المراد براية الحق: الثقلان المخلّفان الكتاب والعترة)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد .

(٢) شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد ٢ : ١٨٩.

فقد روىٰ مسلم: أنّ رسول الله ﷺ قال: ((وإنّي تارك فيكم ثقلين، أوّلُهما كتابُ الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به))، فحثّ علىٰ كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: ((وأهل بيتي أُذكّركم في أهل بيتي، أُذكّركم في أهل بيتي، أُذكّركم في أهل بيتي))[1].

الثاني: قال ابن ميثم: (المراد: الكتاب والسنة)[2].

الثالث: المراد براية الحقّ خصوص الكتاب وهو الأرجح بدليل قوله عليه السلام: ((دليلها مكيث الكلام...))، أي: العترة الطهارة عليهم السلام دليل كتاب الله تعالىٰ، فإنّهم كتاب الله الناطق الذي يمثل الدليل علىٰ أحكام الكتاب الصادق، وكما قال أمير

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣، ح٢٤٠٨، فرائد السمطين/ للحموييني ٢ : ٢٣٤، الدرّ المنثور/ للسيوطي ٧ : ٢٤٩، السنن الكبرىٰ/ لابن ماجة ١٠ : ١٩٤٠، ح٢٠٣٣٥، مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٧، و٥ : ١٨١، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣ : ١٠٩، تاريخ دمشق/ لابن عساكر ٢ : ٤٥، ح٥٤٥، كنز العمال/ للمتقي الهندي ١ : ١٦٨، ح٩٥٩، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٢) شرح ابن ميثم ٣ : ٧.

المؤمنين عليه السلام لأهل صفين ـ عندما رفعوا المصاحف ـ: ((ويحكم! أنا كتاب الله الناطق)).

((من تقدمها مرق)): أي من تقدّم راية الحق خرج من الدين.

((ومن تخلّف عنها زهق)): أي هلك كل من لم يعلم بأحكامها.

((ومن لزمها لحق)): أي: وصل المتمسّك بها إلى غايته ومقصده.

دليلها: أي: دليل الراية، وأراد الإمام عليه السلام به نفسه عليه السلام؛ لأنّ الحق يدور معه كيفما دار بشهادة الرسول الأعظم، كما في الحديث الشريف: قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه كيفما دار))[1].

---

(١) صحيح الترمذي ٥ : ٢٩٧، ح٣٧٩٨، تفسير الفخر الرازي ١ : ٢٠٥، مجمع الزوائد/ للهيثمي ٧ : ٢٣٥ و٩ : ١٣٤، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢١، فرائد السمطين/ للحموين ١ : ١٧٧، ح١٣١، المستدرك ٣ : ١٩ و١٢٤، تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام علي عليه السلام ٣ : ١١٩، ح١١٦٢، كنز العمال ١١ : ٦٠٣، ح٣٢٩١٢، الملل والنحل ١ : ١٠٣، وقال ابن الجوزي: (لا يختلف العلماء في ذلك) صيد الخاطر: ٣٨٥.

مكيث الكلام: المكث في الكلام ليس معناه قلة الكلام، وإنّما يكون الكلام عن تدبّر وروية للعقل حتىٰ ولو كثر الكلام، وهـذه من الصفات الممدوحة، ويقابلها السرعة في الكلام وإن كان قليلاً، وكما قيل: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكّـر فـإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل وراء لسانه، فإنّ همّ بالكلام تكلّم من غير تروٍّ، سواء كان له أو عليه.

((بطيء القيام، سريع إذا قام)): أي: أنّه إذا اقتضت مصـلحة الدين من الإمام عليه السلام القعود أحجم وامتنع عن القيام، كـما صـنع علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما اغتصب حقه في الخلافة، وعنـدما ظلمت فاطمة الزهـراء عليها السلام، بينما في أيـام خلافتـه عليه السلام اقتضـت الحكمة والمصلحة العليا للإسلام القيام بوجه الناكثين والقاسطين والمارقين، ونظير هذين الموقفين لأمير المؤمنين عليه السلام ما قام به ولداه الحسن والحسين عليهما السلام، حيث قعد الحسن عليه السلام عن القتال بينما قـام الحسين للقتال، وهذا مصداق ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قـال: ((الحسن والحسين إماما حـقّ إن قامـا، وإن قعـدا، وأبوهمـا خـير منهما))[1].

---

(١) دعائم الإسلام/ للقاضي النعمان المغزي ١ : ٢٨، باب ذكر إيجاب الصـلاة عـلىٰ محمد وآل محمد.

إذن التأني في الأُمور هو من صفات العقل والتسرع من صفات الجهل. وقد وردت في هذا المعنى جملة من الروايات نذكر بعضها.

في الوسائل عن الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال عليه السلام: ((من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ ومن تورّط في الأُمور غير ناظر في العواقب فقد تعرّض لمفظعات النوائب، والتدبير قبل العمل يُؤمّنك من الندم، والعاقل وعظه التجارب، وفي التجارب علم مستأنف، وفي تقلّب الأحوال علم تجارب الرجال))[1].

وفيه من مجالس الشيخ بإسناده عن أبي قتادة القمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((ليس لحاقن رأي، ولا لملول صديق، ولا لحسود غني، وليس بحازم من لا ينظر في العواقب والنظر في العواقب تلقيح للقلوب))[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٨٨، ووسائل الشيعة ١٥ : ٢٨١، ح٢٠٥١٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٥ : ٢٨٢، ح٢٠٥٢١، بحار الأنوار/ للمجلسي- ٧٥ : ١٩٧، ح١٩.

ومن محاسن البرقي مسنداً إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: علمني يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: عليك باليأس مما في أيدي الناس، فإنّه الغنى الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: إياك والطمع فإنّه الفقر الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا هممت بأمر فتدبّر عاقبته إن يك خيراً ورشداً فاتبعه، وإن يك غيّاً فاجتنبه))[1].

إنّ كل ما كان يصدر من الأئمة الهداة عليهم السلام الذين اختارهم الله تعالى لأمره وجعلهم حججاً على عباده، من قول ومن فعل إنّما هو عن تدبّر العقل ورويته وعن الدين وشريعته، فإذا ظهر وجه المصلحة في القيام بأمرٍ ما للمعصوم قام سريعاً وانتهز الفرصة، وإلّا فإنّه عليه السلام يحجم ويمتنع عن القيام والمبادرة.

ثم قال عليه السلام: ((فإذا أنتم ألنتُم له رقابكم، وأشرتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به)): الضمير له وإليه يعود إلى الإمام عليه السلام، نفي المقطع الأول من عبارته عليه السلام كناية عن طاعتهم

---

(١) وسائل الشيعة ١٥ : ٢٨٢، ح٢٠٥٢٢، الكافي/ للكليني ٨ : ١٥٠، ح١٣.

له وانقيادهم لأمره بعد ما كانوا يخالفون أوامره من قبل، وفي المقطع الثاني كناية عن إجلالهم له عليه السلام بعد ما يعرفون مكانته وعظمته ما عدا البعض منهم، فإذا ما بلغوا هذا المبلغ من معرفتهم به وتعظيمهم له عليه السلام وامتثالهم لأوامره قبضه الله سبحانه وتعالى إليه وتركهم حيارى لا يهتدون إلى رشد ويتفرقون ثانية ويتسلط عليهم الأعداء.

اختلف شراح نهج البلاغة في زمن اجتماع الناس حوله وانقيادهم له عليه السلام ومنهم ابن أبي الحديد والمحقق التستري، فقد قال ابن أبي الحديد: (واعلم أنّ هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته، وكنّى فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها أنّهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له، وهكذا وقع الأمر، فإنّه نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام، وجاء في الأخبار أنّه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري على عشرة آلاف ولفلان وفلان، حتى اجتمع له مائة ألف سيف، وأخرج مقدّمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن

ملجم، وكان من أمره ما كان، وانفضّت تلك الجموع، وكانت كالغنم فقدت راعيها)[١].

وقد نفىٰ المحقق التستري في كتابه (بهج الصباغة) رأي ابن أبي الحديد واعتبر أنّ المراد بهذا المقطع من خطبته عليه السلام هو انتقال أصل الخلافة الظاهرية إليه عليه السلام ولم يكن اجتماع الناس وطاعتهم له في الشهر الذي قتل فيه علىٰ اعتبار أنّ أمره عليه السلام بعد التحكيم صار مضطرباً غاية الاضطراب، حتىٰ بعد رجوعه عن حرب الخوارج نهىٰ الناس عن دخول البلد، ليشخصوا إلىٰ معاوية، فلم يعتنوا به، وكان معاوية يغير كل يوم علىٰ بلاده عليه السلام غير الكوفة، ويصيح عليه السلام بهم في الدفاع، ولم يصغوا إليه حتىٰ قتل ـ صلوات الله عليه ـ[٢].

وكان عليه السلام في أُخريات أيامه يرتقب الموت في لهفة ويقول مردّداً: ((إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليّ أن لا أموت حتىٰ أؤمّر،

---

(١) شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد ٢ : ١٩٨.

(٢) بهج الصباغة/ للمحقق التستري ٣ : ٤٤٨.

وتخضّب هذه مـن دم هـذا، ـ وأشـار إلى لحيتـه ورأسـه ـ قضـاءاً مقضياً، وعهداً معهوداً منه إليّ))[1].

ثم قال عليه السلام: ((فلبثتم بعده ما شاء الله حتىٰ يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم)).

وهنا بشّر عليه السلام بنصر قادم حتىٰ لا يشـعر أصـحابه باليـأس، أي: أنّ هناك قيام واجتماع للناس وهنا نقـول متـىٰ يحـدث هـذا؟ هناك أكثر من رأي:

١ـ ظهور قائم آل محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وهذا ما ذكر ابن أبي الحديد حيث قال: (كلامه عليه السلام: إشـارة إلى المهدي الذي يظهـر في آخـر الوقـت، إلّا أنّـه عنـد أصـحابنا غـير موجود الآن وسيوجد وعند الإمامية أنّه موجود)[2].

---

(١) جاء بألفاظ متعددة كما في البداية والنهاية ٦ : ٢١٨ و٧ : ٣٥٨، ومجمع الزوائد/ للهيتمي ٩ : ١٣٧، والحاكم في المستدرك وصحيحه ٣ : ١١٣ و١٤٣، الصواعق/ لابن حجر: ١٢١، ب ٩، ف٢، وغيرها من المصادر.

(٢) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٢ : ١٩٢.

إنّه رأي ابن أبي الحديد بعدم وجود المهدي عليه السلام الآن، فهذا مردود لما يأتي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة حيث قال عليه السلام: ((مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا هوىٰ نجم طلع نجم))، وكذلك في خطبة أُخرىٰ ـ ستأتي لاحقاً ـ حيث يقول عليه السلام: ((لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً))[1].

وكذلك فهو يتعارض مع حديث الثقلين من عدم افتراق القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام حتىٰ يردا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله الحوضَ.

٢ـ قيل: إنّ المراد هو قيام دولة بني العباس الذي أنهىٰ دولة بني أمية وهذا ما ذكره ابن ميثم في شرحه[2]، حيث نقل الرأي الأول أيضاً. وهذا مردود ـ أيضاً ـ لأنّ راية بني العباس باطلة كسابقها راية بني أمية في ظلمهم وفسادهم، ي حين أنّ الإمام عليه السلام بين في خطبته هذه أنّ اجتماع الناس وضم نشرهم علىٰ راية الحق.

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد، الكلمات القصار: ١٤٣ ، ٣٤٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٣ : ٨.

٣ـ وقيل: إنّ المراد بهذا الاجتماع هو الاجتماع الفكري والثقافي إلىٰ جانب الاجتماع السياسي والعسكري، وهو المعنىٰ الذي تحقق علىٰ عهد الإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام[1].

ولعل هذا الاجتماع مستبعداً لعدم انسجام هذا المعنىٰ مع العبارات السابقة التي أشارت إلىٰ الاجتماع السياسي والعسكري.

والرأي الأوّل هو الأنسب فليس هناك من يجمع الناس ويضم نشرهم غير قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي سوف يظهر في آخر الزمان، وطوبىٰ لمن أدرك زمانه عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((المنتظر الثاني عشر هو المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد، وبلاء طويل، وجزع وخوف، فطوبىٰ لمن أدرك ذلك الزمان))[2].

ثم قال عليه السلام: ((ألا إنّ مثل آل محمد، صلى الله عليه وآله وسلم كمثل نجوم السماء، إذا أخوىٰ نجم طلع نجم)). وهنا دعا عليه السلام الناس إلىٰ

---

(١) نغمات الولاية/ مكارم الشيرازي ٤ : ٢٣٦.

(٢) كمال الدين/ الصدوق: ٣٣٤، ح٥، والغيبة/ للنعماني: ٥٧، والنقل بتقطيع.

الاهتداء بآل الرسول ﷺ؛ لأنّ مثلهم كمثل نجوم السماء التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1].

فالنجاة في الدنيا والآخرة ونيل السعادة في الدارين والفوز بالرضوان إنّما هو في ظل هدي آل محمد ﷺ حيث لا تخلوا الأرض منهم كنجوم السماء فكلما غابت نجمة، ظهرت أُخرىٰ، وهنا أئمة العصمة عليهم السلام كلما رحل إمام جاء بعده إمام إلىٰ خاتم الأئمة وهو المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ثم بشرهم عليه السلام بقوله: ((فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع))، أي: نعمه وآلاؤه تعالىٰ، ((وأراكم ما كنتم تأملون))، أي: لا تيأسوا عسىٰ الله أن يأتي بالفرج من قريب، والمتحقق الوقوع قريب وإن كان بعيداً، ويمكن أن يكون إرائة المخاطبين مأمولهم في الرجعة والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

ولا يخفىٰ بأنّ المراد من المأمول هو ظهور القائم ﷺ. في خبر جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام: ((كأنّي بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلّا وهو يطيع لهم، حتىٰ سباع الأرض وسباع الطير))[1].

وفي خبر آخر عنه عليه السلام: ((إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد، فجمع فيها عقولهم، وكملت بها أحلامهم))[2].

وعن الصادق عليه السلام: ((وإنّ الرجل منهم ليعطىٰ قوة أربعين رجلاً، وإنّ قلبه لأشدّ من زبر الحديد، ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها...))[3].

وقد نقل ابن ميثم في شرح هذه الخطبة حديثاً فقال: رأيت حديثاً للإمام عليه السلام يمكنه أن يوضح هذه الخطبة: ((يا قوم اعلموا علماً يقيناً، إنّ الذي يستقبل قائمنا من أمر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهليتكم... ولعمري لينزعنّ عنكم

---

(١) كمال الدين/ للصدوق: ٦٧٣، ح٢٥.

(٢) كمال الدين/ للصدوق: ٦٧٥، ح٣٠، الكافي/ للكليني ١٠ : ٢٥، ح٢١.

(٣) كمال الدين/ للصدوق: ٦٧٣، ح٢٦.

قضاة السوء، وليقبضنّ عنكم المرائين، وليعزلنّ عنكم أمراء الجور، وليطهرنّ الأرض من كل فاش، وليعملنّ فيكم بالعدل، وليقومنّ فيكم بالقسطاس المستقيم))[1].

وممّا مرّ بنا من البيان والتأويل لنستدل على ما يلي:

١ـ إنّ أي افتراق عن راية الحقّ من جانب الإفراط والتفريط معناه الخسران المبين والهلكة في الدنيا والآخرة.

٢ـ إنّ الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام لدليل راية الحق، من حيث التروي والتدبّر بالقول والفعل، ومعرفة عواقب الأُمور، لا بدّ من وجودها في هذا الدليل؛ لأنّه يمثل الزعيم الرباني والمدبّر لأُمور العباد والمرجع الأعلى لهم في كل أمورهم الدينية والدنيوية.

٣ـ لا بدّ من تحقق ذروة تكامل النعم الإلهية، وذلك عند ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

---

(١) شرح النهج/ لابن ميثم ٣ : ٩.

(٢)ـ وقال عليه السلام: ((**يعطفُ الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأيَ على القرآن إذا عطفوا القرآنَ على الرأي**)).

وقال عليه السلام: ((**حتى تقوم الحرب بكم على ساقٍ بادياً نواجذُها، مملوءةً أخلافُها، حلواً رَضاعُها، علقماً عاقبتُها. ألا وفي غدٍ ـ وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ـ يأخذُ الوالي من غيرها عُمالها على مساوئ أعمالها، وتُخرِجُ له الأرضُ أفاليذ كبدها، وتُلقي إليه سلماً مقاليدَها، فيُريكُم كيف عدل السيرة، ويحي ميّت الكتاب والسنّة**))[1].

إنّ هذه العبارات في هذه الخطبة لأمير المؤمنين عليه السلام فيها إشارة واضحة إلى صفات الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان.

قال عليه السلام: ((يعطف الهوىٰ علىٰ الهدىٰ، إذا عطفوا الهدىٰ علىٰ الهوىٰ، ويعطف الرأيَ علىٰ القرآن، إذا عطفوا القرآنَ علىٰ الرأي)).

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد: خطبة: ١٣٨، ٩ : ٤٠ ـ ٤١.

العبارة الأولىٰ تشير إلىٰ الهداية العقلية، أي: أنّه ﷺ يردّ النفوس الضالّة عن طريق الله تعالىٰ، والمحجوبة بحجب الهوىٰ، والسالكة للطرق الفاسدة، والمذاهب المنحرفة؛ وذلك بسبب غياب منطق العقل والهداية. يردّها عليه السلام إلىٰ سبيل الله تعالىٰ من خلال جعل السيادة لهداية العقل باتباع أنوار الهداية ـ وهم العترة الطاهرة عليهم السلام ـ.

وأمّا العبارة الثانية فتشير إلىٰ الهداية القرآنية، أي: أنّه ﷺ يردّ الآراء جميعاً إلىٰ القرآن فيحملهم علىٰ ما وافقه منها دون ما خالفه. فالقرآن هو ميزان التقييم عنده ﷺ ويضرب كل تفسير بالرأي وحمله علىٰ القرآن الكريم، فهناك من ذوي الأطماع والمصالح الدنيوية من حاول تطبيق النصوص القرآنية وحسب آرائهم بما يوافق تحقيق أطماعهم اللامشروعة. ولا يخفىٰ أنّ التفسير بالرأي وحمل الآيات القرآنية عليه لهو من مكائد الشيطان الكبرىٰ في تحريف الآيات عن معناها الحقيقي وإسقاط الوحي عن قيمته، ولذا فقد وردت روايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنزلت هذا الأمر بمنزلة الكفر، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: ((من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر))[1].

---

(١) البحار/ للمجلسي ١ : ١٩.

إنّ ما أصاب المسلمين من البؤس والشقاء هو من وراء هذين الانحرافين وهما تحكيم هوىٰ النفس علىٰ العقل وتطبيق الرغبات والأطماع علىٰ آيات القرآن من خلال التفسير بالرأي.

لذلك فإنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الذي يقف بوجه هذه الانحرافات عند ظهوره.

وفي الفصل الثاني من هذه الخطبة أشار عليه السلام إلىٰ الفتن التي تظهر عند ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو قوله عليه السلام: ((حتىٰ تقوم الحرب بكم علىٰ ساق)):

((الساق)): ما بين الركبة والقدم، والجمع سوق. قال تعالىٰ: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[1]. والساق يأتي بمعنىٰ: الشدّة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2]، أي: عن شدّة. قال الفيروزآبادي: والتفّت الساق بالساق آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة.

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٣.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

فأراد الإمام عليه السلام بهذه العبارة اشتداد الحرب والتحامها. قال الشارح البحراني والعلامة المجلسي: وقيامها على ساق كناية عن بلوغها غايتها في الشدّة.

ثم قال عليه السلام: ((بادياً نواجِذُها))، النواجذ: أقصى الأضراس (أو الأسنان عند الضحك كما في مجمع البحرين)[1].

في هذه العبارة كناية عن بلوغ الحرب غايتها فجاء التشبيه بظهور الأضراس (عند غاية الضحك كما قال ابن أبي الحديد، واعترض عليه البحراني بأنّ هذا وإن كان محتملاً إلّا أنّ الحرب مظنّة إقبال الغضب لا إقبال الضحك. وهنا يكون التشبيه بظهور أضراس الأسد عن غضبه وافتراسه هو الأنسب في هذا المقام.

وقال عليه السلام: ((مملوءة أخلافها)). (الأخلاف): جمع الخلف بالكسر كحمل وأحمال وهو من ذوات الخف والظلف كالثدي للإنسان، أو حلمة ضرع الناقة ووردت بحلمة ضرع سائر الحيوانات كالبقرة والشاة.

---

(١) مجمع البحرين/ للطريحي ٤ : ٢٧٠.

وهنا صفة ثالثة في تأكيد شدة الحرب حيث نزلها عليه السلام منزلة الناقة ذات اللبن في استعدادها واستكمالها عدتها كما تستكمل الناقة باللبن وتهيؤه لولدها.

ثم أشار الإمام عليه السلام، إلى نكتة لطيفة وهي أنّ البعض من يستأنس ويستلذ بمقدمات بعض الأُمور والتي تكون عاقبتها وخيمة، وفي هذا المعنى قال عليه السلام: ((حلواً رضاعها وعلقماً عاقبتها))، والعلقم هو الحنظل، ويقال لكل شيء مرّ. ومعنى هذه العبارة أنّ هناك من يستلذ ويستحلي الحرب طمعاً بالنصر والغلبة على الأقران والشجعان وغير ملتفتين إلى مرارة آخرها حيث القتل والهلاك وتكون عاقبة أكثرهم إلى النار والعذاب الأليم، قال الشاعر:

لحرب أول ما تكون فتيّة
تسعى بزينتها لكلّ جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت

مكروهـــة للشـــمّ والتقبيـــل[١]

وفي العبارات التالية يتطـرق الإمـام أمـير المـؤمنين عليه السلام إلى بعض من سيرة ولده الإمام القائم عجل الله فرجه الشريف فقال:

((ألا وفي غدٍ ـ وسيأتي غدٌ بما لا تعرفـون ـ))، ومعنىٰ هـذه العبارة أنّه يُخبر عن بعض الأُمور التي ستكون ومنهـا قـال عليه السلام: ((يأخذ الوالي من غيرها عمالها علىٰ مساوئ أعمالها))، ومعنىٰ هـذا: أنّ الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف ـ وهـو رئـيس الدولـة المهدويـة ـ يؤاخـذ المســيء بأعمالــه، ويعاقبــه بــما هــو جــزاؤه دون أي هــوادة، فيحاسب عجل الله فرجه الشريف العمال علىٰ كـل صـغيرة وكبـيرة، وفي هـذا المعنىٰ وردت روايات في كتب الخاصة والعامة ومنها:

عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّـه قـال: ((إنّ القـائم يومـذاك يمـلأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً))[٢].

---

(١) الشعر والشعراء: ١٣٨.

(٢) الإرشاد/ للمفيد ٢ : ٣٤٠، تاريخ بغداد ٤ : ٣٨٨، كنز العمال/ للمتقي الهندي الهنـدي ٣ : ٣٤٣، ح٢٣٣١، وح٢٣٣٢، سـنن أبي داود ٣ : ٣٠٦، ح٤٢٨٢، فرائد السمطين/ للحموينى ٢ : ٣٢٤، ح٥٧٤، حلية أبي نعيم ٥ : ٧٥، مناقب ابـن شهرآشـوب ٢ : ٢٧٣، البحـار/ للمجلسي ـ ٣٦ : ٣١٩، ح١٧١، و٢٠٠ و٢٢١، و٣٥٤، ح٢٢٥، و٤١ : ٣١٨، ح٤٢، وغيرها.

قال الشارح المعتزلي ـ في هذه العبارة من الخطبة ـ: هذا الكلام منقطع عما قبله، وقد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وأمره فذكر عليه السلام أنّ الوالي من غير تلك الطائفة يعني الإمام الذي يخلفه في آخر الزمان يأخذ عمال هذه الطائفة بسوء أعمالهم[1].

أي: يؤاخذهم بذنوبهم.

ومن هذه المؤاخذة ما ورد في رواية أبي بصير دون غيره عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: ((إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سراق الكعبة))[2].

ووردت الأخبار ـ أيضاً ـ بملك الجبابرة وولاة السوء عند ظهوره عجل الله فرجه الشريف، ومنها: في الحديث الذي رواه (كاشف الغمة)، من كتاب (كفاية الطالب، عن الحافظ أبي نعيم في فوائده، والطبراني في معجمه الأكبر، عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٩ : ٤٦.

(٢) روضة الواعظين: ٢٦٥، الإرشاد/ للمفيد ٢ : ٣٨٤.

((سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أُمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً))[1].

ثم ذكر عليه السلام صفات أُخرىٰ للدولة المهدوية حيث قال:

((وتخرج الأرض أفاليذ كبدها)). (الأفاليذ): جمع (أفلاذ)، وأفلاذ جمع (فلذ)، وهي القطعة من الكبد. وهنا كناية عن أنّ ألأرض في عهد الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف تعطي خيراتها ما ظهر منها وما بطن من حيث المعادن والنبات وكل ما فيها من الكنوز والخزائن والتي استعار الإمام عليه السلام لفظة الكبد عنها، ويعضد هذا ما ورد في كتاب الله تعالىٰ حيث قال جلا وعلا: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[2].

وتلقي إليك سلماً مقالدها (المقاليد) أي: المفاتيح.

بمعنىٰ أنّ الكلّ يطيع الإمام عجل الله فرجه الشريف ويتمثل لأوامره وهنا أراد أهل الأرض في هذه الكناية بأنّ الأرض تلقي مفاتيحها. وذكر

---

(١) كتاب الأربعين: ٢٠٧، ميزان الحكمة ١ : ١٧٩، ح٢٣٢.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٢.

المحقق الخوئي في منهاج البراعة أنّ المراد بإلقاء المقاليد فتح المدائن والأمصار وهو الأقرب[1].

وينقل المحقق الخوئي رواية من (كشف الغمة) بهذا المعنى بأسانيدها عن أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: ((بينكم وبين الروم أربع هدن يوم الرابعة على يد رجل من آل هرقل يدوم سبع سنين)). فقال له رجل من عبد النفيس ـ يقال له المستورد بن غيلان ـ: يا رسول الله، من إمام الناس يومئذٍ؟ قال: ((المهدي من ولدي، ابن أربعين سنة، كأن وجهه كوكب درّي، في خدّه الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيّتان، كأنّه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك))[2].

ثم قال عليه السلام: ((فيريكم عدل السيرة، ويحي ميّت الكتاب والسنّة)).

وهذه من خصائص الدولة المهدوية، وهي السيرة العادلة بإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، وأنّه عجل الله فرجه الشريف يرجع الناس إلى هداية

---

(١) منهاج البراعة/ للمحقق الخوئي ٨ : ٣١١.

(٢) البحار/ للمجلسي ٥١ : ٨٠، المعجم الكبير/ للطبراني ٨ : ١٠٢.

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد أن دُرست آثارهما. وفي هذا المعنىٰ روىٰ المفضل بن عمرو الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله ـ جعفر بن محمد عليه السلام ـ قال: ((إذا أذن الله تعالىٰ للقائم في الخروج صعد المنبر فدعىٰ الناس إلىٰ نفسه، وناشدهم الله، ودعاهم إلىٰ حقّه، وأن يسير فيهم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعمل فيهم بعمله، فيبعث الله جبرئيل حتىٰ يأتيه فينزل علىٰ الحطيم ويقول له: إلىٰ أي شيءٍ تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل: أنا أول من يبايعك وابسط يدك فيمسح علىٰ يده وقد وافاه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً فيبايعونه ويقيم بمكة حتىٰ يتم أصحابه عشرة آلاف))[1].

وما مرّ بنا إشارة إلىٰ بعض سيرته صلى الله عليه وآله وسلم عند قيامه وطريقة أحكامه.

ومن الاستدلالات في هذه العبارات لخطبة الإمام عليه السلام:

١ـ وحدة البشرية تحت راية واحدة وتدير شؤونها دولة واحدة.

---

(١) البحار/ للمجلسي ٥٢ : ٣٧٧، ح٧٨، مستدرك سفينة البحار ١ : ٥١٥.

٢ـ تحقيق العدل والأمن والمساواة للناس أجمعين، في ظل الدولة المهدوية العالمية.

٣ـ يعيش الناس في رغدمن العيش وينعمون بالخيرات فلا يبقىٰ فقير في هذه الدولة.

٤ـ تسود الفضائل والأخلاق بين الناس وينشر الحبّ والصفاء بينهم وتختفي مساوئ الأخلاق من قبيل الحسد والتنافس والأحقاد وغيرها.

٥ـ إنّ الإمام المهدي المنتظر ـ أرواحنا له الفداء ـ عندما يحكم الناس بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ فبذلك يثبت للعالم أجمع أنّ القرآن والسنّة اللتين حكمتا الناس في جاهليتهم الأولىٰ سيحكمان الناس في آخر الزمان وهم في قمة تطورهم الحضاري والتكنولوجي، مما يدل علىٰ أنّ القرآن الكريم والسنّة النبوية لكل عصر وزمان.

٦ـ تتم العقول في ظل حكومة المهدي عجل الله فرجه الشريف، وتمشي البشرية في طريق التكامل المادي والمعنوي.

(٣)ـ قال عليه السلام: ((فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيءُ به الغد، فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يُدرِكْه، وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ!

يا قوم، هذا إبّانُ ورود كلّ موعود، ودنوٌّ من طلعةِ ما لا تعرفون، ألا وإنّ من أدركها منا يسري فيها بسراجٍ منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليحُلَّ فيها ربقاً، ويُعتِقَ رقّاً، ويصدعَ شعباً، ويَشْحبَ صدْءاً، في سُتْرة عن الناس، لا يُبصِرُ القائفُ أثَرَهُ، ولو تابع نظرهُ. ثمَّ يُشْحذنَّ فيها قومٌ شحذ القَيْن النَّصْل. تُجلى بالتنزيلِ أبصارهُمْ، ويُرمى بالتفسير في مسامعهم، ويُغْبقون كأس الحكمة بعد الصَّبوح))[1].

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الفصل الأول من هذا المقطع من خطبته ينهى عن الاستعجال في أمرٍ هو متحقق لا محالة، وفي خطبة أُخرى يقول عليه السلام: ((لا تستعجلوا بما لم يعجّلهُ الله لكم))[2]. والإنسان إذا ما أراد أن يصل إلى مراده لا بدّ له من الصبر

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد خطبة: ١٥٠، ٩: ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة، خطبة: ١٩٠.

والتروي، وعدم العجلة، وأن يضع الأمور في مواضعها، لكي يتجنّب الوقوع في ما يكره من العواقب.

ولا يخفى أنّه عليه السلام أراد هنا استعجال الشيعة لقيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف. هذا الأمر قد نهى عنه أئمة الهدى عليهم السلام؛ حيث أوصوا شيعتهم بالصبر والسكون حتى تحقق شرائط القيام وعلاماته. وقد وردت جملة من الروايات في هذا المعنى ومنها:

روى النعماني في الغيبة: (أنّ الصادق عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1]: ((هو أمر الله تعالى، لا نستعجل به. يؤيّده ثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنون، والرعب))[2].

وروى: (أنّ مهزم الأسدي قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك، متى هذا الأمر الذي ننتظره، متى هو؟ فقال عليه السلام: ((يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون))[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١.

(٢) غيبة النعماني: ١٣٢.

(٣) نفس المصدر: ١٣١ ـ ١٩٨.

وعن الصادق عليه السلام: ((هلكت المحاضير)). قيل: وما المحاضير؟ قال: ((المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصنُ على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم. فإنّ الفتنة على من أثارها، وإنهم لا يريدونكم بجائحة إلّا أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض لهم))[1].

وعن الباقر عليه السلام: ((اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض))[2].

وروي: (أنّ إبراهيم بن هليل قال لأبي الحسن عليه السلام: مات أبي على هذا الأمر، وقد بلغت من السنين ما قد ترىٰ، أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال له: ((أنت تعجل)). فقال: أي والله أعجل، ومالي لا أعجل وقد بلغت من السن ما قد ترىٰ، فقال: ((أما والله يا أبا إسحاق، ما يكون ذلك حتىٰ تميّزوا))[3].

يقول عليه السلام: ((فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه)).

---

(١) غيبة النعماني: ١٣١.

(٢) نفس المصدر: ١٣٤.

(٣) نفس المصدر: ١٣٩.

وهنا نقول: لعل الإمام عليه السلام أشار إلى أمر هو غاية في الأهمية؛ حيث أنّ الانتظار لأمر القائم عجل الله فرجه الشريف يستوجب تحقق شرائط هذا الانتظار، من تهيئة الإنسان المنتظر لنفسه من دون أن يتعجل في هذا الأمر وإلّا فسيكون انتظاره انتظاراً سلبياً. وفي هذا المعنى ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: ((أفضل أعمال أُمّتي انتظار الفرج)). أي: أن الانتظار يمثل القيام بأعمال متمثّلة بتطهير النفس وتزكيتها، والقيام بالفرائض التي افترضها الله تعالى علينا.

فإذا ما حصل العكس صار الانتظار انتظاراً سلبياً قد يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وبالتالي يودّ أنّه لم يدرك هذا الأمر ولم يَرَ ما يقوم به الإمام عجل الله فرجه الشريف، وما يقتل من الناس؛ حيث روي (عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((لو يعلم الناس ما يصنع القائم عليه السلام إذا خرج، لأحبّ أكثرهم ألّا يروه مما يقتل من الناس. أما إنّه لا يبدأ إلّا بقريش، فلا يأخذ منها إلّا بالسيف، ولا يعطيها إلّا السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم))[1].

---

(١) غيبة النعماني: ١٥٣.

ثم قال عليه السلام: ((وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ)):

البشارة: هي أوائل كلّ شيء، وتباشير الصبح أي: أوائله.

يشير الإمام عليه السلام هنا إلى الفرج الموعود على يد قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بعد الفتن الحالكة التي أخبرهم عليه السلام بها، فلا بدّ للشمس أن تشرق ولكن بعد أن تتم الغيوم عملها حيث أنّ لكلّ زمان شرائط لا بدّ أن تتحقق. فالثمار لا تقطف إلّا بعد نضوجها.

وقال عليه السلام: ((يا قوم هذا إبّان ورود كل موعود ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون)):

المقصود بـ(إبّان) أي: الوقت.

وهنا يبيّن عليه السلام أنّه قد حان وقت حدوث الفتن التي ستبدأ من بعده عليه السلام إلى قيام القائم صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الشارح المعتزلي: (أي: دنا وقت القيامة، وظهور الفتن التي تظهر أمامها، وإبّان الشيء ـ بالكسر والتشديد ـ : وقته وزمانه، وكنّى عن تلك الأهوال بقوله: ((ودنو من طلعة ما لا تعرفون))، لأنّ تلك الملاحم والآثار الهائلة غير معهود مثلها نحو

دابة الأرض، والدجّال وفتنته، وما يظهر على يده من المخاريق والأُمور الموهمة، وواقعة السفياني))[1].

ولعلّ مراده عليه السلام فتن بني أُميّة وبني العباس إلى علامات القائم عجل الله فرجه؛ لأنّ قوله عليه السلام: ((هذا إبّان...)) يدلّ على أنّ حين خاطبهم بهذا الكلام صار زمان ما وعدهم، وقرب ما أخبرهم.

روى النعماني في غيبته: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: ((إنّ من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلّا النؤمة))[2].

والمقصود من ورائكم أي: أمامكم؛ لما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3].

وفي رواية أُخرى: ((إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾[4]. فقال عليه السلام: ((انتظروا الفرج

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٢ : ٤١٦.

(٢) غيبة النعماني: ٩٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٦٥.

من ثلاث))، قيل: وما هنّ؟ قال: ((اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان)). قيل: وما الفزعة؟ فقال: ((أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1]، هي آية تُخرج الفتاة من خدرها، وتُوقظ النائم، وتُفزع اليقظان))[2].

وروي عن الصادق عليه السلام قال: ((العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب)). قيل: وما هي؟ قال عليه السلام: ((وجه يطلع في القمر، ويد بارزة))[3].

والروايات كثيرة في هذا المعنى، فلا نريد أن نطيل ونكتفي بهذا القدر منها.

ثم قال عليه السلام: ((ألا وإنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين)).

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٢) غيبة النعماني: ١٦٨.

(٣) نفس المصدر: ١٦٨.

لعــلّ الإمــام عليه السلام أراد بهــذه العبــارة خصــوص الإمــام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ويعضده ما جاء بعد هذه العبارة من صـفات غيبتـه، واستتاره عن أعين الناس، بحيـث لا يمكـن الوصـول إليـه ولـو استقصي للطلب، وهو قوله عليه السلام: ((في شدّة عن الناس، لا يُبصــر القائف أثره، ولو تابع نظره)).

أو لعلّ المراد عموم أهل البيت عليهم السلام حيث أنّهم يتعاملون مع الفتن الكثيرة والمتنوعة بالحكمة والعقـل، وبـما تقتضـيه مصـلحة الدين كما يفعـل الأنبيـاء والصـالحين، أي: أنّهـم عليهم السلام يمشـون في ظلمات الفتن الحالكة بسـراج منير، وهو نـور الإمامـة والولايـة، بحيث لا توجب ظلمات تلك الفتن انحرافهم عن طريـق الهـدىٰ، بل هم يسلكون طريق الحقّ المبين.

وهنا نقول: إنّ الرأي الأول هو الأنسب؛ لأنّ سياق الخطبـة يوحي بذلك حيث أنّ المقام هو ذكر صفات ومميزات خاصة بإمام الزمان عجل الله فرجه الشريف. وهذا ما ذهب إليه ابن أبي الحديـد المتعصـب لأكثـر المسائل المرتبطة بالإمامة لكنه في شرح هذه العبارة يقول: (إنّ المراد بها مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما ترىٰ انطباق سائر الصفات المـذكورة

عليه، وإن كان اعتقاد العامة بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام أنّه يولد في آخر الزمان)[1].

والغريب عند بعض العامة أنّهم لا يستوعبون بقاء الإمام عليه السلام على قيد الحياة هذه المدة الطويلة في حيث أنّ العمر الطويل ليس بدعاً في تأريخ البشرية، فهناك من عاش أكثر من هذا العمر، أمثال: نوح، وإلياس، وإديس، والخضر عليهم السلام، وغيرهم.

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى بعض من الخصائص المنطبقة على الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حيث قال: ((ليحُلّ فيها ربقاً، ويُعتَقَ رِقّاً، ويصدعَ شعباً، ويَشْعبَ صدْعاً، في سُترةٍ عن النَّاسِ، ولا يُبصرُ القِلفُ أثرهُ، ولو تابع نظرهُ)):

((ربقاً)) أي: عقداً، ويأتي بمعنى الحبل، فيه عدّة عرى تشدّ به البهم.

((يعتقُ رِقّاً)) ـ بالكسر ـ، أي: مملوكاً.

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٩ : ١٢٨.

((ويصدع شعباً)): الصدع: يعني الشق، وصدعت الشـــيء: أظهرته[1]. والإظهار حيث يظهر باطن الشـــيء بالشـق. ويصـدع شعباً: أي: يفرق جمعاً.

((ويشعب صدعاً))، أي: الاجتماع والالتئام بعد التفرق.

والمـراد مـن هـذه العبـارات هـو أنّـه ﷺ بظهـوره يـدفع الشبهات، ويحلّ المشكلات وعقدها، وكـذلك يعتـق النـاس مـن الجهـل والضـلال؛ حيـث يهتـدي الكثـير مـنهم بنـوره إلى جـادة الصواب والهداية، ويفرق جموع الباطل والضلال، ويميّز الأخيار المؤمنين عن غيرهم ممن يتظاهرون بـالخير والصـلاح كـذباً وزوراً ورياءً. ثم أنّه ﷺ يجمع متفرق الحقّ ويوحد كلمة المـؤمنين تحـت لوائه. ويفعل الإمام ﷺ كل هذا مبتغياً وجه الله تعالى، وليس حباً للسمعة والشهرة وبحثاً عن المدح والشكر: وهذا هـو الإخـلاص الحقيقي الذي يمكن أن نجده إلّا عند أئمة هذا البيت الطاهر عليهم السلام، الذين وهبوا كل شيء لله تبارك وتعالى.

---

(١) صحاح اللغة ٣ : ١٢٤١، مادة (صدع).

وبعد ذلك بدأ الإمام عليه السلام بذكر أنصار صاحب الزمان عجل الله فرجه وأصحابه والعلماء المستجمعين لكمالات النفوس، ممن سلك طريق الحق، وهم من جاء منهم قبلنا ومن يأتي في آخر الزمان؛ حيث قال عليه السلام: ((ثمّ ليُشحذَنَّ فيها قومٌ شحذَ القَيْن النَّصْل، تُجلىٰ بالتنزيل أبصارُهُمْ، ويُرمىٰ بالتفسير في مسامعهم، ويُغْبقون كأس الحكمة بعد الصَّبوح:

((ليُشحذنّ)) ـ بلفظ المجهول، من شحذت السكين، أي: حددته.

((شحذ القيْن))، أي: الحداد.

((النصل))، أي: حديد السيف، والسكين.

((يُغبقون))، ـ بلفظ المجهول ـ و(الغبوق): الشرب بالعشي، فتقول: غقبته فاغتبق.

((كأس))، قال ابن الأعرابي: لا تسمّىٰ الكأس كأساً إلّا وفيها الشراب[1].

---

(١) لسان العرب ٦ : ١٨٩، مادة (كأس).

((الحكمة))، أي:إتقان الأُمور، والأصل فيها حكمة اللجام، وهي ما أحاط بالحنك.

((بعد الصَّبوح)،: أي: الشرب في الصباح، والغبوق والصبوح بكأس الحكمة استعارة كقول زرقاء اليمامة لمّا سُئلت عن سبب قوة عينيها قالت: (كنت أكحلهما بصبوح من صبر، وغبوق من أثمد)[1].

هذه صفات أصحاب وأنصار الإمام المنتظر ﷺ المتميّزون بشجاعتهم وعلمهم بجلال الله وحرامه وبكتابه وسنة نبيه ﷺ، فهم دائموا التعلّم صباحاً ومساءً ويزدادون استعداداً وتأهّباً. إنّهم الشيعة الحقيقيون الذين وصفهم الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: ((شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفّه وإن مات جوعاً)). قيل له: أين نطلبهم؟ قال: ((أطلبوهم في أطراف الأرض، أولئك الخشن عيشهم، المنتقلة ديارهم، الذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوّجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا،

---

(١) راجع أساس البلاغة/ للزمخشري: ٦٧٠.

أولئك الذين في أموالهم يتواسون، وفي قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهواؤهم، وإن اختلفت بهم البلدان))[1].

قال الشارح البحراني ـ في مضمون العبارات السابقة ـ: (في أثناء ما يأتي من الفتن تشحذ أذهان قوم وتعدّ لقبول العلوم والحكمة، كما يشحذ الحدّاد النصل. ولفظ الشحذ مستعار لإعداد الأذهان، ووجه الاستعارة الاشتراك في الإعداد التام النافع، فهو يمضي في مسائل الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به وهو وجه التشبيه المذكور))[2].

أمّا المحقق الخوئي فقد قال في معنى: ((يجلي بالتنزيل أبصارهم، ويرمي بالتفسير في مسامعهم)):

(أي: يكشف الرين، وتدفع ظلمات الشكوك والشبهات عن أبصار بصائرهم بالقرآن والتدبّر في بديع أسلوبه ومعانيه، ويرمي بتفسيره حق التفسير من مسامعهم، والجملة الثانية بمنزلة التعليل للأولى، يعني: أنّهم لتلقّيهم تفسيره على ما يحقّ وينبغي من أهل

---

(١) غيبة النعماني: ١٣٦.

(٢) شرح النهج/ لابن ميثم البحراني ٣: ٢٠٢.

الذكر الذين هم معادن التنزيل والتأويل، وتحصيلهم المعرفة عنهم عليهم السلام بمعاينه ومبانيه وأسراره الباطنة والظاهرة وحكمه الجليّة والخفيّة ارتفعت أغطية الشبهات وغشاوة الشكوكات عن ضمائرهم وبصائرهم، فاستعدّت أذهانهم لإدراك المعارف الحقّة والحكم الإلهية، ولم تزل الأسرار الربانية والعنايات الإلهية تفاض عليهم صباحاً ومساءً وهذا معنىٰ قوله: ((ويُغبقون كأس الحكمة بعد الصَّبوح))[1].

ومما مرّ علينا من البيان والتأويل لهذه الخطبة نستطيع أن نصل إلىٰ الاستدلالات التالية:

١ـ البشارة بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ويعضدها ما ورد من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن طريق الفريقين ـ، وكذلك روايات أئمة الهدىٰ عليهم السلام في هذا المعنىٰ.

٢ـ إنّ الإمام المهدي ـ أرواحنا له الفداء ـ حي يرزق وهو إمامنا الذي لا يمكن أن تخلو الأرض منه فهو حجة الله علىٰ خلقه. وقد ورد في علل الشرائع بإسناده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد

---

(١) منهاج البراعة/ للمحقق الخوئي ٩ : ١٣٠.

الله: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: ((لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت))[1].

٣ـ إن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف سيكون في زمن قد فشلت فيه كل القوانين البشرية في إصلاح العالم، فيكون المصلح الأعظم للقرون جميعاً.

٤ـ لا يتحقق الظهور إلّا بعد تحقق شرائطه، ومنها: وقوع الفتن التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام ـ في خطبته ـ. وأن تتحقق حالة امتلاء الأرض بالجور والظلم. وكذلك الاستعداد التام والتهيئة لأنصار الإمام عجل الله فرجه الشريف، الذين سيخرج بهم لتطهير الأرض من الشرك والإلحاد والظلم والبغي.

٥ـ إنّ الحكمة تكون في مواقف الاعتدال، وعدم الغلوّ في الأشياء؛ لأنّه قد يودي بالإنسان إلى التهلكة، وكما قيل في المثل: كل ما زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه. وفي هذا المعنى ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا والله أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكن أصوم

---

(١) البحار/ للمجلسي ٢٣ : ٢١.

وأفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء، ومن رغب عن سنّتي فليس مني))[1].

ومن هنا يتضح لنا بأنّ الاستعجال لهو من الغُلو في الأشياء.

---

(١) صحيح البخاري ٥ : ١٩٤٩، ح٤٧٧٦، تفسير القرطبي ٦ : ٢٦١، سنن البيهقي الكبرىٰ ٧ : ٧٧، ح١٣٢٢٦، الترغيب والترهيب ٣ : ٣٠، ح٢٩٥٣، فتح الباري ١٠ : ٥٤١، ح٥٧٥١، صحيح ابن حبان ٢ : ٢٠، ح٣١٧.

(٤)ـ ((قد لبس للحكمة جنّتها، وأخذها بجميع أدبها، فهي عند نفسه ضالّتُهُ التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذَنَبِه، وألصق الأرض بجرانه، بقيّةٌ من بقايا حجّته، خليفةٌ من خلائف أنبيائه))[1].

((الجُنَّة)): بالضمّ نوع من السلاح، أو ما استتر به من سلاح))[2].

اختلف شراح النهج في بيان الفاعل لفعل (لبس)؛ لأنّ صدر الكلام لم يذكره السيد الرضي ـ رحمه الله ـ، فراحت كل طائفة تفسّر كلام الإمام عليه السلام حسب اعتقادها.

قال العلامة المجلسي: إنّه إشارة إلى القائم عجل الله فرجه الشريف، ونقله الشارح المعتزلي في الشيعة والأولياء.

وقال الصوفية: إنّه عليه السلام يعني به ولي الله في الأرض، وعندهم لا يخلو الدنيا من الأبدال والأولياء.

وقالت الفلاسفة: إنّ مراده عليه السلام به العارف.

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد، خطبة: ١٨٣، ١٠ : ٩٥.

(٢) صحاح اللغة ٥ : ٢٠٩٤، مادة (جن).

وقالت المعتزلة: إنّه عليه السلام يريد به العالم بالعدل والتوحيد. وزعموا أنّ الله لا يخلي الأمّة من جماعة من المؤمنين العلماء بالتوحيد والعدل، وإنّ الإجماع إنّما يكون حجّة باعتبار قول أولئك، لكنه ما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع الجميع، وإنّما الأصل قول أولئك.

قال ابن أبي الحديد ـ بعد نقل هذه الأقوال ـ : وليس يبعد أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالىٰ وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدلّ علىٰ وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين علىٰ أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه. انتهىٰ[1].

وهنا نقول: الأصوب هو رأي الإمامية، أي: أنّ المراد به قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ قضية القائم صلى الله عليه وآله وسلم مسلّم بها عند جميع المسلمين بتواتر الأخبار الواردة عنه عليه السلام مع اختلاف البعض من غير الإمامية بعدم وجوده الآن، وسيولد في آخر الزمان، وهذا مردود كما مرّ علينا سابقاً؛ لأنّ الأدلة العقلية والنقلية دلّت علىٰ عدم خلوّ

---

(١) البحار/ للمجلسي ٥١ : ١١٤، وشرح النهج/ لابن أبي الحديد ١٠ : ٩٦.

الأرض من حجة، وإلا ساخت وانخسفت بأهلها. إضافة إلىٰ ذلك فإنّ حجة الله لا تتم علىٰ عباده، ويعضد هذا كلام أمير المؤمنين عليه السلام المتواتر لكميل بن زياد حيث قال: ((اللهم بلىٰ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لـئلّا تبطـل حجج الله وبيّناته))[1].

ونأتي الآن لبيان مضامين ودلالات هذا الفصل مـن خطبـة أمير المؤمنين عليه السلام:

((قد لبس للحكمة جنّتها)):

وردت لفظة الحكمة في كتاب الله ـ عـز وجـلّ ـ في مواضـع عديدة، وقد فسّرها علماء التفسير بوجـوه عديـدة حسـب الآيـة. فمثلاً في قوله تعـالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2]، أي الفقـه والمعرفة، وفي قولـه: ﴿وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[3]، القـرآن والشريعة، وفي قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد، الكلمات القصار: ١٤٣، ١٨ : ٣٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.

﴿أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1]، أي: بتحقيق العلم وإتقان العمل.

وفي الروايات الشريفة معناها بوجوه عدة منها: عن العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((الحكمة المعرفة والفقه في الدين ومن فقه منكم فهو حكيم))[2].

وعنه عليه السلام: ((معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار))[3].

وفي الصافي من الكافي، وتفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ . . . وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، قال: ((طاعة الله، ومعرفة الإمام))[4].

وعن مصباح الشريعة عنه عليه السلام: ((الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوىٰ، وثمرة الصدق، ولو قلت: ما أنعم الله علىٰ عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهىٰ من الحكمة لقلت.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) البحار/ للمجلسي ١ : ٢١٥، ح٢٥، ميزان الحكمة ١ : ٦٧٢، ح٩١٩.

(٣) شرح أصول الكافي ٩ : ٢٧٢، ح٢٠.

(٤) شرح أصول الكافي ١ : ١٣٦، ميزان الحكمة ١ : ١١٩، ح١٤٣.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء . . . وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾، أي: لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلّا من استخلصته لنفسي وخصصته بها. والحكمة هي الكتاب وصفة الحكيم هي الثبات عند أوائل الأُمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله))[1].

وفي الكافي عن النبي ﷺ: إنّه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقاه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول، فالتفت إليهم وقال: ((ما أنتم))؟ فقالوا: مؤمنون، قال: ((فما حقيقة إيمانكم))، قالوا: الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، فقال رسول الله ﷺ: ((علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون))[2].

ومن هنا نرى أنّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة دلّت على شرافة ومنزلة الحكمة. وإذا رجعنا إلى قوله عليه السلام: ((قد لبس

---

(١) التفسير الصافي ١ : ٢٩٩، التفسير الأصغر ١ : ١٢٩.

(٢) المحاسن ١ : ٢٦٦، الكافي/ للكليني ٢ : ٥٣، ح١.

للحكمة جنّتها)) فالمقصود بجنة الحكمة مخافة الله ـ عز وجلّ ـ، وحيث جعل النبي ﷺ رأس الحكمة مخافة الله كما في الخصال عنه ﷺ: ((رأس الحكمة مخافة الله))[1]، حيث أنّ وجود الحكمة يكون رادعاً للنفس عن شهواتها وأهوائها، وبالتالي تكون جنّة من الوقوع في العذاب والهلكة، كما أنّ السلاح يستتر به مثل الدرع حتىٰ لا يُصاب الإنسان بالأذىٰ من قبل العدو.

ثم قال عليه السلام: ((وأخذها بجميع أدبها)).

والمقصود أنّه عمل بموجبها، فأخذها بجميع كمالاتها وآدابها من الإقبال عليها والمعرفة بأحكامها، والتفرغ لها، والانصراف عن الفضول والخوض بما لا نفع فيه، أي: أنّه بعد ما عرف أنّ من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وأنّها ذات فضل وشرف أقبل عليها وحرص علىٰ أن تكون همّته فيها وترك كل ما يشغله من أُمور الدنيا التي تتعارض مع الحكمة. فلا يمكن لعاقل أن يهتم بما وصفه الله في كتابه الكريم علىٰ أنّها متاع قليل ـ أي: الدنيا ـ، ويفوته ما فيه الخير الكثير ـ أي: الحكمة ـ.

---

(١) ميزان الحكمة ١ : ٦٧٣، ح٩٢٢، التفسير الصافي ١ : ٢٩٩.

ومن هذا المنطلق نجد أنّ الحكماء ـ ومنهم لقمان لزهده بأُمور الدنيا، وورعه في الله، وعدم اكتراثه بما يمر عليه في هذه الدنيا، من الفرح لما أتاه، أو الحزن لما فقده، فإنّ الله تعالى آتاه الحكمة، وعصمه من الزلل، فكان أحكم أهل زمانه ـ.

وقال عليه السلام: ((فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها)):

هذا المعنى رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة، حيث قال عليه السلام: ((الحكمة ضالة المؤمن))[1]. وليس المراد أنّها غير موجودة، وإنّما أراد الشوق والمحبّة والرغبة بالحكمة لما فيها من الفضل بحيث أنّ الله تبارك وتعالى نقل حكم لقمان في كتابه الكريم في سورة لقمان، من الآية ١٣ ـ إلى الآية ١٩.

((فهو مغترب إذا اغترب الإسلام)):

ولا يخفى بأنّ المراد بهذا المقطع من خطبة الإمام علي عليه السلام هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يستتر عن أعين الناس، ويختار العزلة،

---

(١) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤ : ٨٠، الحكمة: ١٨، عن علي عليه السلام.

وذلك عندما يكون الإسلام غريباً ضعيفاً كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك عندما قال: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ))[1].

وروىٰ النعماني في غيبته عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء))، فقال عليه السلام: ((يا أبا محمد، إذا قام القائم عجل الله فرجه الشريف استأنف دعاءً جديداً، كما دعا رسول الله ﷺ))[2].

وإذا اغترب الإسلام فالمؤمن يكون غريباً بينهم كما هو الشأن في عصرنا هذا.

((وضرب بعسيب ذنبه)):

عسيب الذنب: أي: أصله. وقيل: عسيب الذنب منبته من الجلد والعظم[3].

وهنا كناية عن ضعف الإسلام وتعبه، فشبّهه عليه السلام بالبعير البارك، الذي تعب وتأذىٰ ضرب بذنبه، أو أنّ المؤمن المخلص

---

(١) ميزان الحكمة ٢ : ١٣٤٤، صحيح مسلم ١ : ٩٠.

(٢) الغيبة/ للنعماني: ٢٢١.

(٣) صحاح اللغة ١ : ١٨١، مادة (عسب).

يكون بين القوم الفاسقين كالبعير الـذي ألصـق نحـره في الأرض وضربها بذنبه، فلا يستطيع في شيء سوىٰ ذلك. وقيل: معنـاه أنّـه فارق أهل الفتنة، وضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينـه وأتباعـه، الذين يتبعونه علىٰ رأيه وهم الأذناب.

وقال الزمخشـري: الضرب بالذنب ـ هاهنـا ـ مثـل للإقامـة والثبات، يعني: أنّه يثبت هو ومن تبعه علىٰ الدين[1].

((وألصق الأرض بجرانه)):

في الصحاح: جران البعير: مقدّم عنقه من مذبحه إلىٰ منحره، والجمع جرن، وكذلك من الفرس[2].

قال ابن أبي الحديد: معنىٰ الكـلام: أنّـه إذا صـار الإسـلام غريباً مقهوراً، وصار الإسـلام كـالبعير البـارك يضـرب الأرض بعسيبه ـ وهو أصل الذنب ـ ويلصـق جرانـه ـ وهـو صـدره ـ في الأرض فلا يكون له تصرّف ولا نهوض[3]. ولا يخفىٰ أنّ في الكلام إشارة إلىٰ غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

---

(١) النهاية/ لابن الأثير ٣ : ٢٣٤، مادة (عسب)، والنقل بتصرف في الترتيب.

(٢) صحاح اللغة ٥ : ٢٠٩١، مادة (جرن).

(٣) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٢ : ٥١٦.

روىٰ الصدوق في كماله عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام قال: ((إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلُّ مبطل)). فقلت ـ ولِمَ ـ جعلت فداك ـ؟ قال: ((لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم)). قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: ((وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسىٰ عليه السلام، إلىٰ وقت افتراقهما))[1].

وبعد ما وصفه الإمام عليه السلام بلبسه لجنّة الحكمة، وإيثاره العزلة والغيبة، عرفه بأنّه: (بقية من بقايا حجته) علىٰ عباده و(خليفة من خلائف أنبيائه) في بلاده. وهذا يرجّح بأنّ المراد بهذا الفصل من الخطبة هو الإمام القائم عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

والمراد أنّ الإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف هو الباقي من حجج الله تعالىٰ، الذين يحتجّ بهم علىٰ عباده وهو امتداد لأنبيائه ورسله.

---

(١) كمال الدين/ للصدوق: ٤٨١، ح١١.

روىٰ الصدوق في (كمال الدين) عن الورّاق عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن إسحاق الأشعري، قال: دخلت علىٰ أبي محمد الحسن عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدءاً: ((يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تعالىٰ لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا يخليها ـ إلّا أن تقوم الساعة ـ من حجة الله علىٰ خلقه، به يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض))، فقلت له: يا ابن رسول الله، فمن الإمام والخلف بعدك؟ فنهض مسرعاً، فدخل البيت، ثم خرج وعلىٰ عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر من أبناء ثلاث سنين، فقال: ((يا أحمد لولا كرامتك علىٰ الله عز وجلّ، وعلىٰ حججه، ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد، مثله في هذه الأمّة مثل الخضر، ومثل ذي القرنين: والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلّا من ثبّته الله عز وجلّ علىٰ القول بإمامته، ووفّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه)). قال أحمد: قلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان فصيح فقال: ((أنا بقية الله في

أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب يا أحمد أثراً بعد عين)). فخرجت فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه، فقلت: يا ابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت به عليّ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ قال: ((طول الغيبة))، قلت: وإنّ غيبته لتطول؟ قال: أي وربّي، حتىٰ يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به))[1].

وفي هذا المقطع من الخطبة يقول ابن أبي الحديد المعتزلي:

فإن قلت: أليس لفظ الحجّة ولفظ الخليفة مشعراً بما تقوله الإمامية؟ قلت: لا، فإنّ أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجّة وخليفة، وكذلك الفلاسفة، وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ علىٰ العلماء المؤمنين في كل عصر، لأنّهم حجج الله، أي: إجماعهم حجّة، وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه.

أقول: إنّ هذا مردود؛ حيث أنّ حجة الله لا بدّ أن تكون معصومة فهي تمثل الأسوة بالنسبة للخلق، فلا يحتجّ الله تعالىٰ علىٰ عباده بشخص يمكن أن يرتكب الذنوب والمعاصي كسائر الناس.

---

(١) كمال الدين/ للصدوق: ٣٨٤، ح١.

وهنا كيف يقتدي الناس بحجّة منحرفة؟ ثمّ أنّ الشارح المعتزلي يقول: إنّ المتصوّفة والفلاسفة وأصحابه المعتزلة يطلقون لفظ الحجة، فهذا ادّعاء بإطلاقهم لهذا اللفظ ولا يستند إلى شيء.

وأمّا حجيّة العلماء، وأنّهم ورثة الأنبياء، ليس من باب أنّ قوله حجّة؛ لأنّه عالم، بل على اعتبار دخول قول المعصوم في جملة قوله، فيكون بذلك حجّة.

وأمّا قول البحراني: أنّ العلماء والعارفين هم حجج الله في الأرض على عباده ـ استناداً إلى حديث: ((العلماء ورثة الأنبياء)) ـ، وهذا أيضاً لا وجه له؛ لأنّ الوراثة هنا ليست وراثة حقيقية، وإنّما جاء من باب التشبيه والمجاز، أي: أنّهم أخذوا علومهم أو ورثوا علوم الأنبياء، في حين أنّ وراثة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخلافته هي وراثة وخلافة حقيقية.

ومن بعد ما مرّ علينا من البيان والتأويل في هذه الخطبة لأمير المؤمنين عليه السلام نذكر فيما يأتي بعض الاستدلالات التي توصلنا إليها وهي:

١ـ لا يمكن أن تجتمع الحكمة مع هذه الدنيا ولهوها ولذاتها،

فالحكيم من لا يكترث بهذه الدنيا وما يمر فيها من الفرح والحزن وغيرها.

٢ـ إنّما صارت الحكمة جنّة من الوقوع في العذاب والهلكة، وذلك كونها تمثّل رادعا لنفس الإنسان من شهواتها وأهوائها.

٣ـ إنّ وصف أمير المؤمنين عليه السلام لولده القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف حين قال: ((لبس للحكمة جنّتها)) يبيّن أنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف أراد الحكمة لأجل الحكمة لا لأجل أن تكون درعاً يستتر به من الوقوع في الهلكة كما عند من لبس الحكمة من عوام الناس؛ وذلك لأنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف معصوم فلا يحتاج إلى مثل هذه الدرع لكي يستتر به من الوقوع في العذاب والهلكة.

٤ـ عودة الإسلام غريباً دليل عودة الجاهلية الأولى في آخر الزمان؛ حيث لم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه؛ وذلك لابتعاد الناس عن تعاليم الإسلام الأصيلة وعن مناهج القرآن الكريم، وعندما يكون المؤمن سجيناً في مجتمع من غير سنخه.

(٥)ـ قال عليه السلام: ((فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون إليه كما يجتمع قَزَعُ الخريف))[١].

((اليعسوب)):السيد العظيم المالك لأُمور الناس يومئذٍ ويعسوب النحل: الذكر العظيم منها، الذي تتبعه، وكثر ذلك حتىٰ سمّوا كل رئيس يعسوباً[٢].

((بذنبه)): واحد الأذناب، والمراد بذلك وقت ظهور القائم صلى الله عليه وآله وسلم شبّهه عليه السلام بملك النحل يضرب بذنبه في موضع فيجتمع عليه النحل.

((القزع)): قطع الغيم التي لا ماء فيها.

والمراد: أنّ الإمام المهدي صلى الله عليه وآله وسلم عند ظهوره يجتمع إليه أتباعه كما يجتمع قزع الخريف. قال في (النهاية): (وما في السماء قزعة)، أي: قطعة من الغيم، ومنه حديث علي عليه السلام فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف[٣].

---

(١) نهج البلاغة، غريب كلامه: ٦١٣.

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ٣٨٤.

(٣) النهاية ٤ : ٥٩٠، مادة (قزع).

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان: الخبر من أخبار ملاحمه التي كان يخبر بها عليه السلام، وهو يذكر فيها المهدي عليه السلام[1].

روىٰ النعماني مسنداً إلىٰ الأحنف بن قيس قال: دخلت علىٰ علي عليه السلام في حاجة لي. فجاء ابن الكوّا وشبث بن ربعي فاستأذنا عليه، فقال لي علي عليه السلام: ((إن شئت فأذن لهما، فإنّك أنت بدأت بالحاجة))، قلت: يا أمير المؤمنين فأذن لهما، فلمّا دخلا قال لهما علي عليه السلام: ((ما حملكما علىٰ أن خرجتما عليّ بحروراء))؟ قالا: أجبنا أن نأمن من الغضب. قال: ((ويحكما، وهل في ولايتي غضب؟ أو يكون الغضب حتىٰ يكون من البلاء كذا وكذا، ثم يجتمعون قزعاً كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة)).

وعن المفضل بن عمر، قال أبو عبد الله عليه السلام: ((إذا أذن للإمام عليه السلام دعا الله باسمه العبراني، فأتيحت له صحابته الثلثمائة والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف، منهم أصحاب الألوية، منهم من يُفقد من فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرىٰ يسير في

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٤ : ٣٥٥.

السحاب نهاراً، هم المفقودون، وفيهم نزلت هـذه الآيـة: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[١].

وفي (فتن نعيم بن حماد) ـ من العامـة ـ عـن أبي جعفـر عليه السلام قال: ((يظهر المهدي بمكة عنـد العشـاء، ومعـه رايـة النبـي صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه، وسيفه، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عـدّة أهـل بدر علىٰ غير ميعاد، قزعـاً كقـزع الخريـف، رهبـان بالليـل، أُسـد بالنهار...))[٢].

قـال أمـير المـؤمنين عليه السلام ـ في ذكـر القـائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ: ((والله ليضربنّكم علىٰ الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً))[٣].

ومما يستدلّ عليه في هذا الفصل من خطبة الإمام عليه السلام:

١ـ إنّ دور الإمام المهدي عليه السلام يختلف عن أدوار من سبقه من أئمة الهدىٰ عليهم السلام، فله عجل الله تعالى فرجه الشريف غيبة كبيرة لم تكن لمن سبقه مـنهم عليهم السلام،

---

(١) غيبة النعماني: ٢١٢ ـ ٢١٣ـ والآية في سورة البقرة: ١٤٨.

(٢) رواه ابن طاووس في (الملاحم): ٦٤، عن فـتن نعـيم بـن حمـاد، والسـيوطي في العرف الوردي: ١٤٤، والنقل بتقطيع.

(٣) أبو عبيدة في غريب الحديث ٣ : ٤٨٤، والثقفي في الغـارات ٢ : ٤٩٨، والمبرد في الكامل ٤ : ١٩٦.

وكذلك فإنّ أصحاب آبائه من المعصومين عليهم السلام كانوا حولهم ومعهم في حياتهم، أمّا أصحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فهم مفترقون عنه في بقاع الأرض، ويجتمعون حوله من غير ميعاد عند ظهوره في مكة.

٢ـ إنّ تشبيه الإمام عليه السلام اجتماع أصحاب ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بقزع الخريف فيه دلالة واضحة على سرعة اجتماعهم حوله إذا ظهر في آخر الزمان، حيث أنّ الغيوم الخالية من الماء تكون أسرع بحركتها من تلك التي هي محملة بالماء.

(٦)ـ وقال عليه السلام ـ عن رجعة أهل البيت عليهم السلام ـ : ((**لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها**))، وتلا عقيب ذلك : ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[1].

((لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها)):

شمس الفرس شموساً، وشماساً، أي: منع ظهره[2].

((عطف الضروس على ولدها)): ناقة ضروس في (الصحاح)، أي: سيئة الخلق، تعضّ حالبها، ومنه قولهم: هي بجنّ ضراسها، أي: بحدثان نتاجها، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها[3].

وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى دولة القائم عجل الله فرجه الشريف في آخر الزمان، وفي هذا المعنى روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام كان يقول:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

(٢) صحاح اللغة ٢ : ٩٣٧، مادة (شمس).

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة/ للمحقق التستري ٣ : ٤٩٥.

لكلّ أُناسٍ دولةٌ يرقبونهـــا ودولتنا في آخر الدهر تظهر[1]

بإسناده عن ربيعة بن ناجد قال: سمعت علياً عليه السلام يقـول في هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2]: ((لتعطفنّ هذه الـدنيا عـلىٰ أهـل البيـت كـما تعطف الضروس علىٰ ولدها))[3].

والإمام عليه السلام إنّما تلا هذه الآية عقب كلامه كشـاهد لعطـف الدنيا عليهم أخيراً، فهم المستضعفون في الآية.

روىٰ العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: ((هذا والله من الذين قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا . . .﴾، الآية.

وقال سيد العابدين علي بـن الحسـين عليه السلام: ((والـذي بعـث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ الأبرار منّا أهـل البيـت، وشـيعتهم بمنزلة موسـىٰ وشـيعته، وإنّ عـدوّنا وأشـياعهم بمنزلـة فرعـون وأشياعه))[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٦٦، ح٣، المجلس: ٧٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

(٣) البحار/ للمجلسي ٢٤ : ١٧٠، ح٥.

(٤) مجمع البيان/ للطبرسي ٧ : ٤١٤.

وفي كتاب الغيبة لشيخ الطائفة، بإسناده إلى محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، قال: ((هم آل محمد، يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ أعدائهم))[1].

وقال القمّي: أخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بما لقي موسى عليه السلام وأصحابه من فرعون من القتل والظلم، ليكون تعزية له في ما يصيبه في أهل بيته من أمّته، ثم بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك، ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمة على أمّته يقول: ﴿... مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[2]. أي: من آل محمد، ولو كانت نزلت في موسى لقال: منه ما كانوا يحذرون، ولم يقل (منهم)[3].

ومن الجدير بالذكر أنّ الآيتين (٥ ـ ٦) من سورة القصص، أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه تلاهما في اليوم السابع من ولادته، في إشارة على أنّهما قد نزلتا بحقّه وبوراثته الأرض، ومن عليها في آخر

---

(١) غيبة الطوسي: ١١٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦.

(٣) تفسير القمي ٢ : ١٣٣، والنقل بتلخيص.

الزمان، كما هو في تفسير نور الثقلين، عن كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، بإسناده إلى حكيمة قالت: لما كان اليوم السابع من مولد القائم عليه السلام جئت إلى أبي محمد عليه السلام فسلّمت عليه وجلست فقال: ((هلمّي إلي ابني))، فجئت بسيدي ـ وهو في الخرقة ـ ففعل به كفعله الأول ـ هكذا وردت في المصدر ـ ثم أدلى لسانه في فيه كأنّما يغذّيه لبناً وعسلاً، ثم قال: ((تكلّم يا بني))، قال: ((أشهد أن لا إله إلّا الله))، وثنّى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ... مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[1].

ولا يخفى أنّ الآيتين (٥ ـ ٦) من سورة القصص جاءتا بصيغة الفعل المضارع والاستمرار، وهذا معناه أنّهما ليستا مختصّتين بالمستضعفين من بني إسرائيل، وحكومة الفراعنة ـ آنذاك ـ، وإنّما تخصّان مستضعفي آخر الزمان، والحكومات الفرعونية الظالمة.

---

(١) تفسير نور الثقلين ٥ : ٣١١، عن كمال الدين: ٤٢٥، ب٤٢، ح١.

يقول ابن أبي الحديد: والإمامية تزعم أنّ ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان، وأصحابنا يقولون إنّه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك، ولا يلزم من ذلك أن يكون موجوداً وأن يكون غائباً إلى أن يظهر، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يخلق في آخر الوقت[1].

وقال ابن أبي الحديد ـ أيضاً ـ: وقال بعض أصحابنا: إنّه إشارة إلى ملك السفاح والمنصور[2].

أقول: إنّما قالت الإمامية أنّه إشارة إلى الإمام المهدي المنتظر، وأنّه موجود وغائب عن الأبصار؛ لأنّه قد ثبت عندهم ذلك بأدلّة كثيرة، ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته))[3]. وقوله عليه السلام: ((إذا خوى نجم طلع نجم))[4]. وغيرها مما ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام.

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ٤ : ٣٣٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) شرح النهج/ لابن أبي الحديد، الكلمات القصار: ١٤٣ ١٨ : ٣٤٧.

(٤) شرح النهج/ لابن أبي الحديد، خطبة٩٩، ٧ : ٨٤.

ويعضد هذا ما ورد في البشارة لأهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

أقول: وهل هناك عباد صالحون ومؤمنون عاملون للصالحات مثل أهل بيت العصمة عليهم السلام؟

إنّهم عليهم السلام من تنطبق عليهم الصفات التي ذكرتها الآية الكريمة؛ لذا فهم الوارثون في الأرض والمستخلفون فيها وكما وعد الله تعالى، ومن يكفر بهذا فهو من الفاسقين بنص الآية الكريمة.

إنّ هذا الاستخلاف وهذه الوراثة لم تتحقق أيام الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، والله قد وعدهم وهو لا يخلف الميعاد، ومن هنا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

لا بدّ من تحقق هذا الوعد في عصر الثاني عشر منهم عليهم السلام وبما أنهم عليهم السلام بمنزلة النفس الواحدة، لذا فوراثة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واستخلافه في الأرض وتمكين الله تعالى له دينه الذي ارتضاه وتبديل خوفه أمناً، إنّما تنطبق كل هذه المعاني على جميع الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

ومن دلالات هذا المقطع من الخطبة:

١ـ إنّ البقاء والخلود في آخر المطاف لا بدّ أن يكون للحق ورجاله، مهما كانت هناك صولات وجولات للباطل وأهله عبر العصور، ويعضد هذا قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾[1]. فالزبد إشارة إلى الباطل، وما ينفع الناس فهو الحقّ الذي يملك مقومات البقاء والخلود.

٢ـ إنّ الآية الخامسة من سورة القصص التي تلاها الإمام عليه السلام بعد هذا المقطع من خطبته قد نزلت في قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما نزلت في أمّة موسى عليه السلام؛ لأنّ آيات القرآن الكريم تجري مجرى الشمس ومجرى الليل والنهار لا تتوقف. إضافة إلى أنّ

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

ما حدث في الأمم السابقة يحدث في هذه الأمّة، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1]. يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: ((أي: لتركبنّ سنن من كان قبلكم من الأولين وأحوالهم))[2].

٣ـ يعضد كلام الإمام عليه السلام ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((وإنّما الأعمال بخواتيمها))[3].

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: ١٩.

(٢) تفسير الميزان/ للسيد الطباطبائي ٢٠ : ٢٧٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٣٣٥، ونقله البخاري في صحيحه في كتاب الرقاص، وقال: إنّه حديث صحيح لا غبار عليه سنداً ومتناً.

(٧)ـ قال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: ((**اللهم بلى: لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطُل حججُ الله وبيّناته**))[1].

لقد تقدّم الكلام في بحثنا حول أهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة في أنّ الأرض لا يمكن أن تخلو من حجّة بشرية معصومة لله تعالى إلى جانب القرآن الكريم، وهذا المعنى قد ورد في حديث الثقلين حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّي قد تركتُ فيكم الثقلين، واحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[2].

إنّ حجة الله تعالى على عباده لا تكمل إلّا بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام، لذا لا يمكن أن يخلو عصر من إمام معصوم، إلى جانب القرآن الكريم. وفي هذا جاء بإسناده عن أبي

---

(١) شرح النهج/ لابن أبي الحديد ١٨ : ٣٤٧، الكلمات القصار: ١٤٣.

(٢) البحار/ للمجلسي ٢٣ : ١١٣.

حمـزة قـال: قلـت لأبي عبـد الله عليه السلام: تبقـى الأرض بغـير إمـام؟ قـال عليه السلام: ((لـو بقيـت الأرض بغـير إمـام سـاعة لسـاخت))[1].

والروايات كثيرة في ضرورة وجود المعصوم في كل عصـر وزمـان ومنها:

قال الصدوق في (كمال الدين): في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]، دليل على أنّه لم تخل الأرض من هـداة في كـل قوم، وكل عصر تلزم العباد الحجّة لله تعالى من الأنبياء والأوصياء، فالهداة من الأنبياء والأوصياء لا يجوز انقطاعهم مـا دام التكليـف من الله تعالى لازماً للعباد[3].

وقال ـ أيضاً ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ الآية[4]، دليل على أنّ الحكمة في الخليفة أبلغ

---

(١) البحار/ للمجلسي ٢٣ : ٢١.

(٢) سورة االرعد، الآية: ٧.

(٣) كمال الدين/ للصدوق: ٦٦٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

من الحكمة في الخليقة، فلذلك ابتدأ به لأنّه سبحانه حكيم، والحكيم من يبدأ بالأهم دون الأعم، وذلك تصديق قول الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، حيث يقول: ((الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق وبعد الخلق))[1]. ولو خلق الله الخليقة خلواً من الخليفة لكان قد عرّضهم للتلف إلى أن قال: ومن زعم أن الدنيا تخلوا ساعة من إمام لزمه أن يصحّح مذهب البراهمة في إبطالهم الرسالة، ولولا أنّ القرآن نزل بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء لوجب كون الرسول في كل وقت، فلمّا صحّ ذلك ارتفع معنى كون الرسول بعده، وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل[2].

وروى ابن قتيبة في عيون الأخبار مسنداً عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[3].

---

(١) الكافي/ للكليني ١ : ١٧٧، ح٤، وكمال الدين/ للصدوق: ٢٢١، ح٥، و٣٢٣، ح٣٦.

(٢) كمال الدين/ للصدوق: ٤، الكافي/ للكليني ١ : ١٧٧، ح٤.

(٣) عيون الأخبار/ لابن قتيبة ٢ : ١١٩.

وروىٰ الكليني عن الكافي بإسنادين عن الحسن بن محبوب، عن أبي أُسامة وهشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق عمّن يثقُ به من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((اللهم إنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك علىٰ خلقك))[1].

(١) الكافي/ للكليني ١ : ١٧٨، ح٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ـ أساس البلاغة/ للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ).

٢ـ الإرشاد/ للشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي العكبري (ت٤١٣هـ).

٣ـ البحار/ للمجلسي، الشيخ محمد باقر (ت١١١١هـ).

٤ـ البداية والنهاية/ لابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٥ـ بهج الصباغة/ للمحقق التستري، محمد تقي.

٦ـ تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ).

٧ـ تاريخ دمشق/ لابن عساكر (ت٥٧١هـ).

٨ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام/ لابن عساكر، (ت٥٧١هـ).

٩ـ الترغيب والترهيب/ للألباني، محمد ناصر الدين (ت٤٢٠هـ).

١٠ـ التفسير الصافي/ للفيض الكاشاني، محمد المحسن بن مرتضىٰ (ت١٠٩١هـ).

١١ـ التفسير الكبير/ للفخر الرازي، فخر الدين (ت٦٠٤هـ).

١٢ـ تفسير القرطبي/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ).

١٣ـ تفسير الميزان/ للطباطبائي (ت١٤٠٢هـ).

١٤ـ تفسير نور الثقلين/ للشيخ عبد علي بن جمعة العرسي الحويزي (ت١١١٢هـ).

١٥ـ جمهرة اللغة/ لمحمد بن الحسن بن دريد أبو بكر (ت٣٢١هـ).

١٦ـ دعائم الإسلام/ للقاضي النعمان المغزي (ت٣٦٣هـ).

١٧ـ روضة الواعظين/ لابن الفتال النيسابوري (ت٥٠٨هـ).

١٨ـ سنن أبي داود/ لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ).

١٩ـ السنن الكبرىٰ/ لابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ).

٢٠ـ السنن الكبرىٰ/ للبيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

٢١ـ شرح النهج/ ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ).

٢٢ـ شرح نهج البلاغة/ ابن ميثم البحراني (ت١٢٩٩هـ).

٢٣ـ الشعر والشعراء/ ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).

٢٤ـ صحاح اللغة/ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ).

٢٥ـ صحيح ابن حبان/ محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ).

٢٦ـ صحيح الترمذي/ أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ (ت٢٩٧هـ).

٢٧ـ صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ).

٢٨ـ الصواعق المحرقة/ لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

٢٩ـ عيون الأخبار/ لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).

٣٠ـ الغيبة/ للنعماني، الشيخ ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم (من أعلام القرن الرابع الهجري).

٣١ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

٣٢ـ فرائد السمطين/ للحموينى (ت٧٢٢هـ).

٣٣ـ الكافي/ للكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ).

٣٤ـ كتاب الأربعين/ لمحمد صادق الخاتون آبادي (ت١٢٧٢هـ).

٣٥ـ كمال الدين/ للصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت٣٨١هـ).

٣٦ـ كنز العمال/ للمتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام

الدين (ت٩٧٥هـ).

٣٧ـ لسان العرب/ لابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت٧١١هـ).

٣٨ـ مجمع البحرين/ للطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ).

٣٩ـ مجمع الزوائد/ لابن حجر الهيثمي (ت٨٠٧هـ).

٤٠ـ المحاسن/ للبرقي، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤هـ).

٤١ـ مستدرك سفينة البحار/ للشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت١٤٠٢هـ).

٤٢ـ المستدرك على الصحيحين/ للحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ).

٤٣ـ مسند أحمد بن حنبل/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ).

٤٤ـ المعجم الكبير/ للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ).

٤٥ـ الملاحم والفتن/ لابن طاووس، السيد رضي الدين علي

بن موسىٰ بن جعفر (ت٦٦٤هـ).

٤٦ـ الملل والنحل/ للشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين الشهرستاني (ت٥٤٨هـ).

٤٧ـ من لا يحضره الفقيه/ للشيخ الصدوق، أبو جعفر ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ).

٤٨ـ مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب، محمد بن علي (ت٥٨٨هـ).

٤٩ـ منهاج البراعة/ للمحقق الخوئي، حبيب الله (ت١٣٢٦هـ).

٥٠ـ ميزان الحكمة/ لمحمد الريشهري.

٥١ـ نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة/ لناصر مكارم شيرازي.

٥٢ـ النهاية/ لابن الأثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٥٣ـ وسائل الشيعة/ للحر العاملي، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ).

الفهرست

مقدّمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية.....٧

مقدمة شعبة البحوث و الدراسات ٩

وخلّف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مرق، ومن تخلف.....١٧

يعطف الهوىٰ علىٰ الهدىٰ، إذا عطفوا الهدىٰ علىٰ الهوىٰ.....٣١

فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيء.....٤٣

قد لبس للحكمة جنّتها، وأخذها بجميع أدبها.....٥٩

فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه.....٧٣

لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس.....٧٧

اللهم بلىٰ، لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجّة.....٨٥

المصادر والمراجع.....٨٩